متصوفة بغداد
في كتاب وفيات الأعيان

د. سناء شندي عوان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

مقدمة:-

لا يعرف على وجه التحديد متى بدأ التصوف في الدولة الاسلامية ومن هو أول متصوف، مع أن اغلب أسماء الصوفية كانت من المشرق، ولسنا هنا بصدد دراسة عقائد المتصوفة، لانها متطورة ومختلفة بين صوفي وأخر، لهذا سيقتصر بحثنا على المتصوفة البغداديين في كتاب وفيات الاعيان، لأن دراسة كل المتصوفة البغداديين يتطلب مساحة واسعة ومكثفة لا تسعها هذه الصفحات، فضلاً عن إن تراجم هؤلاء البغداديين الذين كتب عنهم ابن خلكان[1] (ت 681 هـ/ 1282م) لم يتطرق فيها إلى أقوالهم في الوحدانية – أي ان الفرد يصل إلى مقام الإله والرب كما في بقية الكتب، مع ان هناك استثناءات بالتأكيد، كترجمة الحلاج (ت 309هـ/ 921م) مثلاً، لكننا سنقتصر على البغداديين كون الترجمة لا تحتاج إلى تفسير وتأويل الاحاديث الواردة فيها.

اصل التسمية ونشأتها:-

ان تاريخ التسمية بأسم ((الصوفي)) يعود إلى فترة اسبق عهداً من فترة إنشاء مدينة بغداد التي شرع المنصور (136هـ- 158هـ /753م- 774م) ببنائها سنة 145هـ/ 762م[2]، ففي رواية عن الحسن البصري (ت 110هـ- 728م) يقول فيها: ((رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً... فلم يأخذه))[3]، كما يروي عن سفيان الثوري (ت161هـ/ 777م) انه قال: ((لولا أبو هاشم الصوفي (ت 150هـ/ 767م) ما عرفت دقيق الرياء))[4]، بل ويذهب إلى ابعد من ذلك فيقول انه في الكتاب الذي جمع فيه اخبار مكة عن محمد بن اسحاق بن يسار (ت 151 هـ/ 768م) يذكر انه قبل الاسلام قد خلت مكة في وقت من الاوقات حتى لا يطوف بالبيت أحد ((وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف، فأن صح ذلك يدل على انه قبل الإسلام كان هذا الاسم يعرف، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح))[5].

ونرى ان هناك اختلاف في الاراء في بداية تسمية الصوفية فالسراج (ت 378هـ/ 988م) يقول ان هناك صوفي طاف الكعبة قبل الاسلام، في حين يقول الجامي[6] (ت 899هـ/ 1493م) ان ((اول من سمي بالصوفي ابو هاشم الكوفي (ت 150هـ/ 767م) وما سمي احد بهذا الاسم من قبله))، ومن قبله كان الزهاد والمتورعون والمحبون لله، ويؤكد القشيري (ت 465 هـ/ 1072هـ) إن تسمية الصوفي اطلقت قبل سنة مائتين للهجرة، إذ يقول: ((اختلف الناس، وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع... فأنفرد خواص أهل السنة المراعون انفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة بأسم "التصوف" واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة))[7]. وينفرد الكلا باذي (ت380هـ/ 990م) برأي حول اصل التسمية فيقول انها موجودة منذ زمن النبي محمد 6 واصلها الصُفيّة والصّفيّة، نسبة إلى أهل الصف الأول وإلى أهل الصفة وإنما أصبحت صوفية بسبب "تداول الالسنة"[8].

ونلاحظ ان كل من السراج والقشيري والكلاباذي يؤكدون ان التصوف اصيل في الاسلام بصرف النظر عن الموقف تجاه حدوث التسمية او اصالتها))[9].

ويحدد ماسينون النصف الثاني من القرن الثاني الهجري لظهور لقب "الصوفي" إذ إنه يرى إن أصل التصوف شيعي لان الذي نعت به ابو هاشم الكوفي (ت 150هـ/ 767م) المتصوف المشهور، وجابر بن حيان (ت 200هـ/ 815م) وهو صاحب كيمياء شيعي من اهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص[10]، حتى ان ابن خلكان حين ترجم للامام الصادق (عليه السلام) (ت 148 هـ/ 765م) قال: ((وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي))[11]، فالتصوف برأي ماسينون يكاد يكون شيعياً نشأ في الكوفة، لان كلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة[12].

اذن الاراء متباينة فيما يخص بداية ظهور اللفظة (الصوفية) وحول نشأتها وان كانت نابعة في الاصل من التشيع، او خالصة لاهل السنة، ويمكن القول ان التصوف عقيدة قائمة بذاتها وليس لها أي ارتباط بالشيعة حتى وان كان هناك تشابه في بعض الامور، منها ادعاء اهل الصوفية بالعلوم الخاصة او للدين ظاهراً وباطناً، لان الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان قد نفى هذا التشابه بين المتصوفة والشيعة من خلال حديثه عن أبي هاشم الصوفي اذ قال فيه: ((انه فاسد العقيدة جداً، وهو ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة))[13].

وبصورة عامة فأن الاسم يدل على لبس الصوف لانه مأخوذ من كون اللباس الغالب عليهم، ولقد اورد كل من ماسينون وعبد الرحمن بدوي الاراء الواردة في المصادر العربية في سبب التسمية بالصوفي والصوفية نذكر منها[14]:-

1. انهم سموا بذلك نسبة إلى أهل "الصفة" وهم فقراء المسلمين في عهد الرسول 6 والخلفاء الراشدين، ممن لم تكن لهم بيوت يأوون إليها، فكانوا يأوون إلى مقعد مغطى خارج المسجد امر الرسول 6 ببنائه في المدينة.
2. ان اسم الصوفية مشتق من "الصفاء" بمعنى انهم صفوا من الشرور.
3. انهم ينسبون إلى "الصف" الأول من بين المؤمنين في الصلاة.
4. انهم ينسبون إلى بني "صوفة" وهي قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة في الجاهلية.
5. انهم ينسبون إلى "صوفة القفا" وهي خصلة الشعر على القفا.
6. انهم ينسبون إلى "الصفوانة" وهي نوع من البقل.

كما أن هناك رأي يقول ان الصوفية "اسم محدث أحدثه البغداديون" فيرد السراج على هذا بأنه محال، وان خلاصة رأيه في التسمية انه مشتق من الصوف وانه اسم قديم وجد قبل الاسلام و ((انهم لم ينسبوا إلى حال معينة او علم معين لأنهم يتخلقون بالأخلاق الفاضلة ويتسمون بكل الاحوال الشريفة فلا محل لتمييزهم بحال دون حال، ولا بخلق دون خلق))[15].

وفيما يخص دراسة متصوفة بغداد، لأن بغداد هي مركز الخلافة الاسلامية وبؤرة الاشعاع السياسي والثقافي وملتقى الناس من جميع الامصار الاسلامية ومدن العالم[16]. ولان هذه الشهرة في العلوم كانت تمثل الاغراء الكبير للكثير من المتصوفة للتوجه إلى بغداد للتفاعل والتعلم والتعليم، واكتساب الصحبة، وكان اغلب العلماء والادباء والزهاد يتجولون في الامصار الاسلامية بحرية واسعة بحثاً عن حلقات الدراسة والتواصل مع نجوم العلم والمعرفة والزهد والتصوف دون اكتراث بظروف العيش[17]، ومما يؤيد هذا الكلام ان القشيري اورد رواية عن ابي عثمان المغربي (ت 373هـ/ 983م) يقول فيها ((كنت اعتقد شيئاً من حديث الجهة- أي القول بالجهة لله تعالى وانه تعالى على العرش- فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا بمكة، أني أسلمت الآن إسلاما جديداً))[18]. كما ان بشر الحافي (ت227هـ/ 841م) نزل بغداد طالباً للحديث ، وسكن بها ولم يملك ببغداد ملكاً قط، وكان لا يأكل من غلتها ورعاً، لانها من ارض السواد التي لم تقسم[19].

وانسحبت الظاهرة البغدادية الفريدة من نوعها- حسب راي عزيز السيد جاسم- على المقابر والمراقد فهي ((كانت ملمحاً بارزاً من ملامح غنى وتنوع المجتمع البغدادي، بزهاده وعلمائه ومثلما كانت اعمال التجارة وانشطة العلم، تتوازى مع زهد الزهاد والمتصوفة فأن المجتمعات الداخلية الصغيرة كانت حريصة على العناية بقبور علمائها الزهاد ومتصوفتها والتبرك بها))[20]. فهذا قبر معروف الكرخي (ت 200هـ/ 815م) ((كان مشهوراً باجابة الدعوة، واهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب))[21].

ومن الظواهر التي بقيت مستمرة في تاريخ التصوف البغدادي، الظاهرة المتمثلة بالتفقه ثم التصوف، ومن متقدمي فقهاء الصوفية المذكورين باسناد الحديث والفقه وعلم القراءات[22]، بشر الحافي (ت 227هـ/ 841م) فقد روى عنه سري السقطي (ت 251هـ/865م) وجماعة من الصالحين[23]، وابو القاسم الجنيد (ت 297هـ/ 909م) وكان قد تفقه على ابي ثور (ت 240هـ/ 854م) صاحب الامام الشافعي (ت 204 هـ/ 819م) وقيل بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري (ت 261هـ/ 874م)[24]. ولقد كان التفقه من ميزات الصوفية الاوائل، فيذكر مثلاً عن سري السقطي قوله في هذا الشأن ((اذا ابتدأ الانسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر، واذا ابتدأ بكتب الحديث ثم نسك نفذ))[25].

ولم يكن التصوف مقصوراً على جنس او فئة اجتماعية او اقتصادية او حتى سياسية دون أُخرى، لقد كان التصوف بمثابة البوتقة الاجتماعية التي انصهرت فيها مختلف الفروقات الاجتماعية والاقتصادية والعرقية والجغرافية، فكان التصوف عامل وحدة وتماسك في بنية المجتمع الاسلامي[26].

ومن جهة أُخرى فقد جاء بعض مشاهير شيوخ التصوف من خلفيات اجتماعية واقتصادية أُخرى فمنهم من كان من ابناء الملوك والامراء والسلاطين مثل بشر الحافي (ت 227هـ/ 841م) كان من اولاد الرؤساء والكتاب[27]، وابو بكر الشبلي (ت334هـ/ 945م) كان والياً في دنباوند[28].

واشهر المتصوفة البغداديين الذين ورد ذكرهم في كتاب وفيات الاعيان:-

1. بشر الحافي[29]:

ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن عبد الله الحافي، اصله من مرو، وسكن بغداد، وسبب توبته ((انه اصاب في الطريق ورقة وفيها اسم الله تعالى مكتوب، وقد وطئتها الاقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية[30] فطيب بها

الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى في النوم كأن قائلاً يقول له: يا بشر، طيبت اسمي لا طيبن اسمك في الدنيا والاخرة، فلما تنبه من نومه، تاب))[31]، ولقب بالحافي لانه جاء إلى اسكاف يطلب منه شسعاً[32] لاحدى نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الاسكاف: ما أكثر كلفتكم على الناس، فالقى النعل من يده، والأُخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلاً بعدها))[33]، توفي بشر الحافي سنة 227هـ/ 841م[34].

من اقواله[35]:-

1. عقوبة العالم في الدنيا ان يعمى بصر قلبه.
2. من طلب الدنيا فليتهيأ للذل.
3. وقيل لبشر بأي شئ تأكل الخبز، فقال: اذكر العافية، فاجعلها اداماً.
4. ان العبد اذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.
5. ومن دعائه: اللهم ان كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الاخره فاسلبه عني.

وقال[36]:-

6. يأتي على الناس زمان، لا تقر فيه عين حكيم، ويأتي عليهم زمان، تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس.
7. النظر إلى الأحمق سخنة العين، والنظر إلى البخيل يقسي القلب.
8. الصبر الجميل، هو الذي لا شكوى فيه إلى الناس.
9. لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير، وانت لا يأمنك صديقك؟!
10. لا تجد حلاوة العبادة، حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد.
11. شاطر سخي أحب إلى من قارئ لئيم.
12. حبك لمعرفة الناس، رأس محبة الدنيا.
13. بحسبك أن قوماً موتى، تحيا القلوب بذكرهم، وان قوماً احياء تقسو القلوب برؤيتهم.
14. الحلال لا يحتمل السرف.
15. الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وان أعطي لا يأخذ، فذاك من الروحانيين، اذا سئل الله أعطاه وأن أقسم على الله أبر قسمه، وفقير لا يسأل وان أعطي قبل، فذاك من أوسط القوم، عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى، وهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس. وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت، فاذا طرقته الحاجة، خرج إلى عبيد الله وقلبه إلى الله بالسؤال، فكفارة مسألته صدقه في السؤال.

2. ابو القاسم الجنيد[37]:-

ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، وانما قيل له الخزاز لانه كان يعمل الخز، وقيل له القواريري لأن أباه كان يبيع الزجاج[38]، وهنا نلحظ ان أكثر الصوفية كانوا ذوي حرف يدوية وصناعات تؤكد القابهم، وهذا يدل على خلفياتهم الاقتصادية والاجتماعية[39].

كان الجنيد فقيهاً، وصحب خاله السري السقطي (ت 253هـ/ 867م) والحارث المحاسبي (ت 243هـ/ 857م)، وغيرهما من جلة المشايخ، توفي الجنيد سنة 297هـ/ 909م، ومن اقواله عن الصوفية والتصوف يقول ((انما هذا الاسم- يعني التصوف- نعت اقيم العبد فيه... نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسماً))، ويقول ((ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لان التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، واصله التعزف عن الدنيا))[40].

اما اقواله الأُخرى، منها[41]:-

- باب كل علم نفيس جليل بذل المجهود، وليس من طلب الله ببذل المجهود، كمن طلبه من طريق الجود.
- ان الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره، حسب ما خلصت القلوب به اليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك.
- الغفلة عن الله تعالى اشد من دخول النار.
- الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتضى اثر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).، واتبع سنته، ولزم طريقته، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.
- اذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق، فأن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه.
- لا تقوم بما عليك حتى تترك مالك، ولا يقوى على ذلك الا نبي أو صديق.
- الوقت اذا فات لا يستدرك، وليس شئ أعز من الوقت.
- أكثر الناس علماً بالآفات، أكثرهم آفات.
- مقام الغريب ببغداد، بعد خمسة ايام فصول.
- من نظر إلى ولي من اولياء الله تعالى، فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رؤس الاشهاد.
- الرضا ثاني درجات المعرفة، فمن رضى صحت معرفته بالله، بدوام رضاه عنه.
- من عرف الله لا يسر الا به.

ومن اقواله التي ذكرها ابن خلكان[42]:-

- العارف من نطق عن سرك وانت ساكت.
- رئي يوماً في يده مسبحة فقيل له: انت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال: طريق وصلت به إلى ربي لا افارقه. وكل اقوال الجنيد اعلاه تؤكد تمسكه بالشريعة واحكامها لانه أول من نادى صراحة بالتمسك بالكتاب والسنة واتباع الشريعة في ميدان التصوف[43].

3. خير النساج[44]:-

ابو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي، من اهل سر من رأى، نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها، وعمر عمراً طويلاً، وانما سمي خيراً النساج لأنه خرج يوما فرآه رجل وقال له :أنت عبدي واسمك خير ،وكان قد وقع الشبه والصورة لغلام ذلك الرجل على خير النساج، واخذه الرجل واستعمله في نسج الخز، ثم بعد مدة قال له الرجل ((لا انت عبدي ولا اسمك خير)) وكان يقول ((لا أغير اسما سماني به رجل مسلم))، توفي سنة 322هـ/ 933م[45].

من اقواله:-

- لا نسب اشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا اعلم ارفع ممن علمه الله الاسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه[46].

ومن اقواله الأُخرى[47]:-

- من عرف من الدنيا قدرها وجد من الاخرة حقها، ومن جهل من الاخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.
- الصبر من اخلاق الرجال، والرضا من اخلاق الكرام.
- شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الايمان.
- الاخلاص هو الذي لا يقبل عمل عاملٍ الا به.
- العمل الذي يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.
- ميراث افعالك ما يليق بافعالك، فأطلب ميراث فضله، فأنه اتم واحسن.
- الخوف سوط الله في الارض، يُقّوم به أَنفُساً قد تعودت سوء الادب، ومتى ما اساءت الجوارح الادب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

4. ابو بكر الشبلي[48]:-

ابو بكر دلف بن جحدر، وقيل جعفر بن يونس المعروف بالشبلي المشهور بالخراساني الاصل البغدادي المولد والمنشأ، كان مالكي المذهب، وصحب الشيخ ابا القاسم الجنيد، ومن في عصره من الصلحاء[49]، وذكرنا سابقاً انه كان في مبدأ امره والياً في دنباوند، فلما تاب في مجلس خير النساج، مضى إليها وقال لأهلها ((كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل))، توفي سنة 334هـ/ 945م، من اقواله[50]:-

- قال ابو بكر بن مجاهد (ت 324هـ/ 936م): يا أبا بكر، أخبرت انك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع الناس فيه، اين هذا من العلم والشرع فقال له: يقول الله ((فطفق مسحاً بالسوق والاعناق))اين هذا من العلم، فسكت ابو بكر بن مجاهد، فقال: كاني ما قرأتها قط.
- من اناشيده:

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم سلم وسلمكم حرب

- وفي أخر عمره كان ينشد كثيراً:-

وكم من موضع لومت فيه لكنت به نكالاً في العشيرة

ومن أقواله في التصوف والزهد[51]:-

- التصوف ضبط حواسك ومراعاة انفاسك.
- التصوف التألف والتعاطف.
- والزهد هو: تحويل القلب من الاشياء إلى رب الاشياء.
- وسئل متى يكون الرجل مريداً؟ فقال: اذا استوت حاله في السفر والحضر والمشهد والمغيب.

ومن اقواله الأُخرى[52]:-

- الإخلاص بالنطق، واستغراق السرائر بالصدق.
- من عرف الله خضع له كل شئ لانه عاين اثر ملكه فيه.
- من عرف الله لا يكون له غم ابداً.
- الفرح بالله اولى من الحزن بين يدي الله.
- الحرية هي حرية القلب لا غير.
- كيف يصح لك التوحيد وكلما ملكت شيئاً ملكك، وكلما ابصرت شيئاً اسرك؟

5. سري السقطي[53]:-

ابو الحسن سري بن المغلس السقطي، هو خال ابي القاسم الجنيد واستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي (ت 200هـ/ 815م)، يقال انه كان في دكانه، فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم، فقال له: ((اكس هذا اليتيم، قال سري: فكسوته، ففرح به معروف، وقال بغض الله عليك الدنيا واراحك مما انت فيه، فقمت من الدكان وليس شئ ابغض إلي من الدنيا، وكل ما انا فيه من بركات معروف))، وسري هو أمام البغداديين وشيخهم في وقته، وكان وجيهاً عند الملوك والاكابر، وقد سمي بالسقطي نسبة إلى بيع السقط، توفي سنة 251هـ/ 865م، ومن اقواله[54]:-

- لولا ان الله عز وجل عقم الاذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع ولا تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات.
- المتصوف اسم لثلاثة معان، هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى.
- وكان كثيراً ما ينشد:

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فمالي ارى الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا وتذهل حتى لا تجيب المناديا

ومن اقواله الأُخرى[55]:-

- من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس، لان هذا زمان عزلة ووحدة.
- كل الدنيا فضول، الا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله.
- الامور ثلاثة: أمر بان لك رشده، فاتبعه، وأمر بان لك غيه، فاجتنبه،وأمر أشكل عليك، فقف عنده، وكِلهُ إلى الله عز وجل، وليكن الله دليلك، واجعل فقرك اليه تستغن به عمن سواه.
- الادب ترجمان العقل.
- ما أكثر من يصف الصفة، واقل من يوافق فعله صفته.
- من خاف الله خافه كل شيء.
- لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب،
- لا تصرم اخاك على ارتياب، ولا تدعه دون الاستعتاب.

- من قلة الصدق كثرة الخلطاء.
- حسن الخلق، كف الاذى عن الناس، واحتمال الاذى عنهم بلا حقد ولا مكافأة.
- ان اغتممت لما ينقص من مالك، فأبك على ما ينقص من عمرك0
- أقوى القوة غَلَبتُك نفسك ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز.
- اجلد الناس من ملك غضبه.
- من تزين للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله عز وجل.

6. معروف الكرخي[56]:-

ابو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروزان، وقيل على الكرخي، وهو من موالي علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وكان ابواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: ((قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً فهرب منه)). وكان أبواه يتمنان عودته على أي دين شاء، ثم انه أسلم علي يد علي بن موسى الرضا ورجع إلى أبويه، واسلما معه[57]، وقيل في سبب موته انه بعد اسلامه على يد علي الرضا كان يحجبه، فازدحم الشيعة يوماً على باب علي بن موسى، فكسروا اضلع معروف[58]، ومات سنة 200هـ/ 815م، من اقواله[59]:-

- قيل لمعروف في مرضه موته أوص : فقال: اذا مت فتصدقوا بقميصي فإني أريد أن اخرج من الدنيا كما دخلت عرياناً.
- ومر معروف بسقاء وهو يقول، رحم الله من يشرب، فتقدم وشرب، وكان صائماً، فقيل له: ألم تك صائماً، قال: بلى، ولكن رجوت دعاءه.

ومن اقواله ايضاً[60]:-

- اذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، واغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً، اغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.
- توكل على الله، حتى يكون هو معلمك، ومؤنسك، وموضع شكواك، فأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.
- طلب الجنة بلا عمل، ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع، جهل وحمق.
- سئل معروف: بم تخرج الدنيا من القلب؟ قال: بصفاء الود وحسن المعاملة.

- وسئل عن المحبة فقال: المحبة ليست من تعاليم الخلق، انما هي من مواهب الحق وفضله.
- وسئل عن علامة الاولياء فقال ثلاثة، همومهم لله وشغلهم فيه وفرارهم إليه.
- قلوب الطاهرين تشرح بالتقوى، وتزهر بالبر، وقلوب الفجار تظلم بالفجور وتعمى بسوء النية.
- اما تعريف التصوف عند معروف الكرخي فهو قوله ((التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما في ايدي الخلائق[61]))، والمراد بالحقائق هنا هو وجوب النظر إلى باطن الشريعة أي حقيقتها فضلاً عن القيام برسومها، والمراد باليأس في ايدي الخلائق الزهد فيما يملكه الناس من متاع الدنيا، فللتصوف في نظر معروف الكرخي جانبان: الزهد في الدنيا والنظر إلى حقيقة الدين وعدم الاكتفاء بظاهر تكاليفه[62].

الخاتمة

لقد كان للتصوف مكانة مهمة في المجتمع الاسلامي، وذلك لتخصص الصوفية بالزهد والعبادات التي تميزهم عن غيرهم من الناس، وعلى الرغم من الاختلاف القائم حول نشأة التصوف واصل التسمية، لا سيما ان هناك بعض الباحثين يلجأ إلى المقارنة بين الفكر الصوفي والفكر الشيعي، وكثيراً ما يلجأون إلى القول بإن أصل التصوف شيعي، نقول ومع كل الاختلاف في الاراء الا ان المتصوفة البغداديين كان لهم الدور البارز في هذا المنهج او الطريق الذي سلكوه، وبالتالي سار على نهجهم الكثير ممن يتوخى السمو بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى، ولقد تبين لنا ايضاً من خلال اقوال المتصوفة البغداديين انهم كانوا ينفردون باحوال خاصة في الزهد والعزوف عن ملذات الدنيا فضلاً عن التقوى في الاسلام والطمع في الاخرة وذلك من خلال العبادات والتفرغ التام للطاعة، لذلك كان لهؤلاء الصوفية اثرهم في تزكية النفس من خلال زرع صفات الخير وحب الله وخشيته، حتى ان قبور بعضهم صار يشد إليها الرحال في معظم العالم الاسلامي.

الهوامش و المصادر

(1) لم نتطرق الى تفاصيل حياته في هذا البحث لأننا افردنا فصلاً كاملاً عن حياته ومنهجه في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لـ: البدري: سناء شندي عوان، الجوانب الإدارية و الاجتماعية في وفيات ابن خلكان وتالي وفيات الاعيان (دراسة تاريخية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1434هـ/2013م)، ص ص 40 –79.

(2) التل: عمر سليم عبد القادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (دراسة تاريخية)، ط1 (عمان: دار المأمون للنشر، 2009م)، ص 45.

[3] السراج الطوسي، ابو نصر عبد الله بن علي (ت 378هـ/ 988م)، اللمع، تحقيق: عبد العليم محمود وطه عبد الباقي سرور، (مصر: دار الكتب الحديثة، بغداد: مكتبة المثنى، 1380هـ/ 1960م)، ص 42؛ الجامي: أبو البركات عبد الرحمن بن نظام الدين احمد ابن محمد (ت 988هـ/ 1493م)، نفحات الانس من حضرات القدس، (الأزهر الشريف، بلا. ت)، ص 66؛ بدوي: عبد الرحمن، تاريخ التصوف الاسلامي من البداية إلى نهاية القرن الثاني، ط1 (الكويت، وكالة المطبوعات، 1975)، ص6.

[4] السراج الطوسي، اللمع، ص42؛ بدوي، تاريخ التصوف الاسلامي، ص 6.

[5] السراج الطوسي، اللمع،ص ص42- 43؛ بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي،ص ص 6-7.

[6] نفحات الانس، ص 66.

[7] ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود ابن الشريف، (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م)، ص 43.

[8] ابو بكر محمد بن اسحاق، التعرف لمذهب اهل التصوف، (منتديات دار الايمان، 2009م)، ص ص 30-35؛ التل، متصوفة بغداد، ص 49.

[9] التل، متصوفة بغداد، ص 49.

[10] لويس، التصوف، كتب دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، ط1 (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1984م)، ص ص 26- 27.

[11] ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط5 (بيروت: دار صادر، 2009م)، ج1، ص 327.

[12] التصوف، ص ص 26 -27.

[13] القمي: عباس (ت 1359هـ/ 1940م)، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، تحقيق: مجمع البحوث الاسلامية، ط1 (الاستانة: مؤسسة الطبع والنشر، 1416هـ)، ج7، ص 103.

[14] التصوف، ص ص 25- 26؛ تاريخ التصوف الاسلامي، ص ص 8-9.

[15] اللمع، ص ص42- 43؛ بدوي، تاريخ التصوف الاسلامي، ص 7.

[16] جاسم: عزيز السيد، متصوفة بغداد، (بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، 1990)، ص 50.

[17] المرجع نفسه، ص 44.

[18] الرسالة القشيرية، ص 30.

[19] شرف: محمد جلال، دراسات في التصوف الاسلامي شخصيات ومذاهب، (بيروت: دار النهضة العربية، 1404هـ/ 1984م)، ص 134.

[20] متصوفة بغداد، ص 46.

[21] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص 232.

[22] التل، متصوفة بغداد، ص 55.

[23] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 275.

[24] المصدر نفسه، ج1، ص 373.

[25] السلمي: محمد بن الحسين (ت 412هـ/ 1021م)، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط3 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ/ 1997م)، ص 55.

[26] التل، متصوفة بغداد، ص 52.

[27] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 275.

[28] المصدر نفسه، ج2، ص 273. دنباوند: ناحية من نواحي الري في الجبال. انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2،ص 276.

[29] ابن سعد: محمد بن منيع (ت 230هـ/ 844م)، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، 1985م) ، ج7، ص 342؛ ابن معين: يحيى (ت 233هـ/ 874م)، تاريخ ابن معين، رواية: عباس الدوري، تحقيق: احمد محمد

نور سيف، (مكة المكرمة، 1979)، ص 85؛ ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/ 889م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، 1969)، ص 525؛ ابو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت 430هـ/ 1038م)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، (القاهرة، 1938)، ج8، ص ص 336- 360 ؛الخطيب البغدادي: ابوبكر احمد بن علي (ت 463هـ/ 1070م)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا ت)، ج7، ص 67؛القشيري، الرسالة القشيرية، ص ص 54- 57؛ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/ 1200م)، صفة الصفوة، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ)، ج2، ص ص 183- 190؛ الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومأمون الصاغرجي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402هـ/ 1982م)، ج10، ص 469؛ الجامي، نفحات الانس، ص ص 133- 134.

(30) غالية نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن ، انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بلا ت)، ج15، ص 131، مادة غلا.

(31) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 275.

(32) شسع: احد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الاصبعين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 180، مادة شسع.

(33) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 275.

(34) المصدر نفسه، ص 276.

(35) المصدر نفسه، ص 275.

(36) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 42- 47؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج10، ص ص 472- 473.

(37) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 155- 163؛ ابو نعيم، حلية الاولياء، ج10، ص ص 255- 287؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص ص 241- 249؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص ص 18-19؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدر آباد، 1357هـ)، ج6، ص ص 105- 106؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 273- 275؛ اليافعي: عبد الله بن اسعد (ت 768هـ/ 1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (حيدر آباد، 1337هـ)، ج2، ص ص 231- 236؛ الجامي، نفحات الانس، ص ص 256-265.

(38) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص 374.

(39) التل، متصوفة بغداد، ص 52.

(40) السلمي، طبقات الصوفية، ص 158.

(41) المصدر نفسه، ص ص 157- 163.

(42) وفيات الاعيان، ج1، ص 373.

(43) شرف، دراسات في التصوف الاسلامي، ص 242.

(44) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 322-325؛ أبو نعيم، حلية الاولياء، ج10، ص 307؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص ص 48-50؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص25 ؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج6، ص 274؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص 251؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص 269؛ ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، بلا.ت) ج11، ص 181؛ الجامي، نفحات الانس، ص ص 468- 471.

(45) ابن خلكان، وفيان الاعيان، ج2، ص 252.

(46) المصدر نفسه.

(47) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 323- 325.

(48) المصدر نفسه، ص ص 337- 348؛ ابو نعيم، حلية الأولياء، ج10، ص ص 366- 375؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص ص 389-397؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص ص 25-26؛ ابن

الجوزي، المنتظم، ج6، ص ص 347- 349؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص 372؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج2، ص ص 317- 319؛ ابن فرحون: ابراهيم بن علي (ت 799هـ/ 1396)، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذاهب، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (القاهرة، 1351هـ)، ص 116.

(49) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص 273.

(50) المصدر نفسه، ص 273، ص274، ص 275.

(51) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 340- 341.

(52) المصدر نفسه، ص ص 339- 348.

(53)المصدر نفسه، ص ص 48-55؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج10، ص ص 116-128؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 9، ص ص 187-192؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص12؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص ص 209-218؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج2، ص ص 158-159؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص13؛ ابن حجر: شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م)، لسان الميزان، (حيدر آباد، 1329هـ)، ج3، ص13.

(54) ابن خلكان،وفيات الاعيان، ج2، ص ص 357- 359.

(55) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 50- 55.

(56) السلمي، طبقات الصوفية، ص ص 83-90؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج8، ص ص 360- 368؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص ص 199-209؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص 49 ؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج2، ص ص 79- 83؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص ص 231- 233؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج9، ص 339؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج1، ص ص 460- 463؛ الجامي، نفحات الانس، ص ص 93- 96.

(57) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص ص 231- 232.

(58) السلمي، طبقات الصوفية، ص 85.

(59) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص ص 231- 233.

(60) السلمي، طبقات الصوفية،ص ص 87- 90.

(61) القشيري، الرسالة القشيرية، ص50؛ شرف، دراسات في التصوف الاسلامي، ص 119.

(62) شرف، دراسات في التصوف الاسلامي، ص ص 119- 120.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: المصادر:

- الجامي: ابو البركات عبد الرحمن بن نظام الدين احمد بن محمد (ت 899هـ/ 1493م).

1. نفحات الأنس من حضرات القدس، (الازهر الشريف، بلا.ت).

- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/ 1200م).

2. صفة الصفوة، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ).
3. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدر آباد، 1357هـ).

- ابن حجر: شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م).

4. لسان الميزان (حيدر آباد، 1329هـ).

- الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت 463هـ/ 1070م)0

5. تاريخ بغداد او مدينة السلام، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلات).

- ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/ 1282م).

6. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط5، (بيروت، دار صادر، 2009م).

- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م).

7. سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومامون الصاغرجي، ط2،(بيروت، مؤسسة الرسالة، 1402هـ/ 1982م).

- السراج الطوسي: ابو نصر عبد الله بن علي (ت 378هـ/988م)0

8. اللمع، تحقيق: عبد العليم محمود وطه عبد الباقي سرور، (مصر، دار الكتب الحديثة، بغداد، مكتبة المثنى، 1380هـ/ 1960م).

- ابن سعد: محمد بن منيع (ت 230هـ/ 844م).

9. الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، 1985م) .

- السلمي: أبو محمد بن الحسين (ت 412هـ/1021م).

10. طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط3 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ/ 1997م).

- ابن فرحون: ابراهيم بن علي (ت 799هـ/ 1396م).

11. الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (القاهرة، 1351هـ).

- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/ 889م).

12. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، 1969م).

- القشيري: ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ/ 1072م).

13. الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، (القاهرة، مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م).

- ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م).

14. البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، بلا.ت).

- الكلاباذي: ابو بكر محمد بن اسحاق (ت 380هـ/ 990م).

15. التعرف لمذهب اهل التصوف، (منتديات دار الايمان، 2009م).

- ابن معين: يحيى (ت 233هـ/ 874م)0

16. تاريخ ابن معين، رواية: عباس الدوري، تحقيق: احمد محمد نور سيف (مكة المكرمة، 1979م).

- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1311م)0

17. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بلات).

- ابو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت 430هـ/ 1038م).

18. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، (القاهرة، 1938م).

- اليافعي: عبد الله بن اسعد (ت 768هـ/ 1366م).

19. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (حيدر آباد، 1337هـ).

ثانياً: المراجع الحديثة:

- بدوي: عبد الرحمن.

20.تاريخ التصوف الاسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، ط1،(الكويت، وكالة المطبوعات، 1975م).
- التل: عمر سليم عبد القادر.

21.متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (دراسة تاريخية)، ط1 (عمان: دار المأمون للنشر، 2009م).
- جاسم: عزيز السيد.

22.متصوفة بغداد، (بغداد، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، 1990م).
- شرف: محمد جلال.

23.دراسات في التصوف الاسلامي شخصيات ومذاهب، (بيروت: دار النهضة العربية، 1404هـ/ 1984م).
- القمي: عباس.

24.سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، تحقيق: مجمع البحوث الاسلامية، ط1 (الاستانة: مؤسسة الطبع والنشر، 1416ه).
- ماسينون: لويس.

25.التصوف، كتب دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984م).

ثالثا: الاطاريح الجامعية :
- البدري، سناء شندي عوان

الجوانب الإدارية والاجتماعية في وفيات ابن خلكان وتالي وفيات الأعيان (دراسة تاريخية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1434ه/2013م).